نجم

ماذا أرقك فى الأسحار ، وجعل قنديلك ملء النهار ؟ ! ! رقمت كالسماء بلا عمد ، وشاركت الخلود بطول الأمد ، وكنت بأقرانك زهراً بلا عدد . . مرت بك الشهور والأيام وحطمت على لمعانك القرون والأعوام . ولم تيأس من وقدتك ، ولم تمل من شخصتك . . ! !

أقسم بمقولك « الكتاب » نمطيا لمعانك ، واعتزازاً بقدرك ، وشبهوا توابع الأنسان بك فقالوا « فلان كالنجم . . » ولم تشبه منهم بأحد.

فيا ملك الدجى ، وسلطان الغسق . أين أنت إذا الصبح تنفس ؟ ! ! هل فاضت عليك آية النهار الساطعة فتمرنك بين طياتها ، وكنت كأن لم تكن شيئاً مذكوراً . ؟ أم طاردتك أشعة الشمس . فأشفقت على بصرك أن يحسر فتعلقت بأجنحة « الخفافيش » تلتمس وكراً تبيت فيه أو ظلاما تقيم به . . وهل أنت والشمس عدوان . يطارد القوى منكم الضعيف. والويل إن لحق به ؟ ! ! ! ولكن لا أطالك إلا مغلوباً على أمرك . فأنت مثلى لا حول لك ولا قوة ، ولا خشية ولا رهبة ، ولا صولة ولا جولة . فمن عظمها اختفيت ، ومن بأسها توارت ؟ ! ! أم أنت شاهد عدل . . أنصت لترى مايقع على الغبراء فى جنح الليل من جرائم وآثام . . فتحصيها فى صمت وسكون ، وتكتبها فى حلم ونؤدة ؟ ! ! !

أم أنت على موعد من أحد طال انتظاره . إن خانك اليوم رقيبه فى الغابر ؟ ! ! أم أنت رسول الهجعة والسكون ، وملاك الرحمة والطمأنينة . تدعو المكدودين للراحة بعد جهد النهار ، وتصب اليوم . . ! !

خبرنى ما الحياة وما الفناء . وما الخلود وما البقاء ! ! سخرت من « خوفو » لما أراد بأهرامه مشاركتك فى البقاء . . ونظرت « منفتاح » وجيرونه كيف تجرى أن يبلغ إليك الأسباب ، فردوه حزيناً وجعلت كيده فى تباب . . « نابليون » وطأ الأرض بقدم ، ورفع أخرى ناظراً إليك فباغته العدم . . أفنيت الصناديد ولم تفن . وأبليت كل جديد ولم تبل ! !

حدثنى يربك . واخرج من صامتك وصمتك . . هل آليت ألا تخاطب البشر ولهم من صمتك قصص وعبر ! ! أم ناديتهم فلم يجيبوا وأيقظتهم فلم يتنبهوا .

إن كان كذلك فهأنذا بين يديك أصيخ لقولك ، وأذعن لأمرك . فقد أرقنى شئون وشجون . وأمانى وذكريات . ، ولابد لساهر الليل لو كان مؤرق النوم . فاق المضجع ، من

مير بؤسه ، أو صديق عذب الحديث . حتى يبلغ شاطىء اليم المظلم بسلام دون أن يعتوره هم ، أو يساوره حزن وندم . فكنه أيها النجم وأكثر من حديثك وسمرك على أجد من حديثك عزاء وتسلية ، ومن سمرك لذة ومتاعاً ! !

* * *

فمنهم صاحبي ودمدم كأنى قصد بغيته ، ونال مأربه ، وفاه بكلمات فيها شيء من الوضوح . وفيها شيء من الغموض . وعيت منه العبارات الآتية :

يالغرابة البشر ، وليالقسوة قلوبهم : كم رافقت الصحر منهم والمدر ، وهديت ضلال الطريق ، وحار الدليل في ظلام الليل الدامس إلى سواء الصراط ، فبدلت من خوفهم أمناً ، ومن ضلالهم غبطة وهداية ، فكنت لهم دليل صدق ووفاء . . وعلافيت منهم جزاء ولا شكورا . . وكم واسيت من أم ثكلى ، وأسير عان ، ومريض منهوك في جوف الليل الصامت . وكنت مع هذا صغير الجرم ، قليل النفع ، خلواً من الفائدة .

بددت لهم ستار الليل العميق ، وزينت السماء بوجودي ، وأوحشتها بأفولي . . فما أروعها أيام الشتاء القارسة ، وليالي المعتمة ، تاهيك من زئير الرياح ، وقصف الرعد ، وخفق البرق ، وهدهدة السحاب ، إنى ما وجدت من يقابل النعمة بالكفران ، والفضل بالجحود ، والصنيع بالمعصية غير بني الانسان . فياله من عز قائل نفسه ، ورمى بها في مهاوي اليؤس والشقاء . . . . أراهم يتخذون من الليل ستاراً ، ويعيثون في الأرض فساداً . . فمن عدوان يسفك دم ، وهتك عرض ، واغتصاب مال الأخ بغير حق ولا مبرر ، ومن ظلم وإسراف فيه ، وكذب مفتري ، وقول فيه غيبة ومنه فتنة ونميمة . . ثم أرهم ليلة تابوا فيها ورجعوا ، أو برقوا فقنعوا . . بل ما رأيت منهم إلا غلواً في الاثم ، وإمعاناً في الفساد ، وتمادياً في الباطل ، وجموحاً في الشر والمعصية . حتى ليكاد القوي فيهم يلتهم الضعيف كما تفعل كبار السمك بصغارها في قاع البحار والمحيطات ثم أتنفس شريح الصبح فأذا هو مختفر بينهم . . وهكذا نرى الأرض في توران وصخب لا يهدآن . يحتدم إوار الحقد بينهم . . وما بالهم يتنازعون ويتشاكسون على حياة كلها نصب يعقبه فناء ! ! ! أما علموا أن أتعا عمرتها قبلهم ، وكانوا أكثر منهم قوة وأشد بأسا . ولم تغنهم قوتهم . ولم ينفعهم بأسهم من الله شيئاً . فأقفرت منهم الأرض . وخلت منهم المساكن ! ! ! .

نحن معشر الكواكب ظالما رثينا لهذا الرحيل العاني . وأشفقنا عليه وترحمنا من أجله ونظرنا بعين العطف والحنان راقبين أكفنا إلى الله أن يرفع عنه ما نزل به ، أو يغدق على أهله الهداية والاصلاح عنه وكرمه أو يقضي فيه أمراً كان مفعولا ! ! !

وهنا بدت جذوة النهار تسري في نعمة الليل من المشرق . وإذا بمعدّي قد شحب

لونه . وتلعثم لسانه ، واضطربت شفتاه . كأن خطباً ألم به . أو وحياً سماوياً بمهمة الاسترسال في الحديث . فآثر الصمت ولازم الوجوم . وأخذ في الذوبان شيئاً فشيئاً .

هالني أمره وأشفقت من حالته . وقلت له بشغف ولهف حارين . . إلى أين يا صديقي! وأي حادث دهاك حدث . وأي أمر عن لك ! ! ! فقال . انتظر حتى يتوارى ذاك الرجل الأكبر . ويذوب الشفق الأحمر . فلي معك حديث طويل ! ! . .

محمد أنور خليل علي عمار
مدرس بمدرسة دمياط بنات

شاعر يحتكم !

كنت أقرأ العدد السابع من صحيفة التعليم الأزهري الغراء ومعي صديق أديب ، حتى وصلنا إلى نظم الأديب محمود احمد حميد الفتى في الصديق المنافق المارق قال :

رأيتك في الرخاء أخا صديقا تلازمني وتظهر كل ود . . . الخ

فقال صديقي الأديب : حسن هذا الشعر . وكم يكون حسنا لو أن المفاضلة كانت بين الصديق المنافق والكلب ، لأن الكلب معروف بحسن الوفاء ، وليس كذلك الفرد:

هو الكلب إلا أنه فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

فقلت له : هب أن الشاعر قال : (وليت صداقتي كانت لكلب)

فماذا تصنع بباقي الأبيات ؟ فأجاب :

رأيتك في الرخاء أخا صديقا تلازمني وتظهر كل حب
فلما أن بليت بيوم عسر جحدت صداقتي ونسيت كتبي
ولم تقنع بأنك ذو نفاق وما تحوي ثيابك غير خب
فأنكرت الجميل بلا حياء وقلت مقال بهتان وكذب
فليتك لم تكن يوما صديقا وليت صداقتي كانت لكلب

* * *

فأي الشعرين أمتن قافية وأقرب إلى المعنى الذي أراده الشاعر ؟

هذا ما أترك الحكم فيه لحضرات الأدباء قراء الصحيفة .

(تحرير)

نزيه ناجي
رئيس نقابة دمنهور